ISSN: 2706-6495

علل القراءات القرآنية عند المتقدمين (دراسة تطبيقية استقرائية)

The Rationales for Qur'anic Readings among Early Scholars: An Applied Inductive Study

الدكتور/ عبدالله يونس عبدالله توري

أستاذ مساعد في تخصص القراءات، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية

Email: saidd333377@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع علل القراءات القرآنية عند العلماء الأوائل، وهو يعتبر من الموضوعات المهمة في علم القراءات. يركز البحث على دراسة الأسس التي اعتمدها هؤلاء العلماء في تعليل وتوجيه أوجه القراءات القرآنية، موضحًا وجوه صحتها وارتباطها باللغة العربية والرسم العثماني وصحة السند والفصاحة، وغيرها من المبادئ التي اتبعوها في قبول القراءات وتوجيهها

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم توجيه القراءات القرآنية، وعلل القراءات وكشف مناهج العلماء القدامى في هذا المجال؛ كما يقوم بتوضيح أنواع العلل التي استندوا إليها وتحليل نماذج من مؤلفاتهم لتوضيح دقة منهجهم العلمي في توجيه القراءات والدفاع عنها، إلى جانب ذلك، يبرز البحث العلاقة الوثيقة بين علم علل القراءات والعلوم العربية والإسلامية مثل النحو والصرف واللغة والتفسير. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي لجمع المادة العلمية من المصادر الأصلية، بجانب المنهج الوصفي التحليلي لدراسة النصوص وتحليلها، وأيضًا على المنهج المقارن عندما يلزم لإظهار أوجه الاتفاق والاختلاف بين مناهج العلماء المتقدمين.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن علماء القراءات اعتمدوا في تفسيرهم على مجموعة من الأسس المتنوعة، أبرزها صحة السند، ومطابقة الرسم العثماني، والاحتكام إلى لغة العرب، مع الاستعانة بقواعد النحو والصرف وعلم الصوتيات. وقد جاءت علل القراءات متنوعة بين الجوانب اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية والدلالية، مما يعكس شمولية وعمق منهج العلماء في تناول هذه القراءات، كذلك فالطبيعة الشفوية والسماعية للقراءة القرآنية لا تحتمل القياس أو الاجتهاد. أما اختلاف القراءات القرآنية الصحيحة، فهو اختلاف في أساليب النقل والرواية وليس في المعنى أو المضمون العقلي، أما القراءات القرآنية المتواترة، فقد جاء توثيقها بنفس الأساليب التي وُثِّق بها القرآن نفسه. وفي ضوء ما توصلت له الدراسة من نتائج توصي الدراسة بمجموعة من التوصيات المفيدة والمهمة.

الكلمات المفتاحية: علل القراءات عند المتقدمين، القراءات القرآنية، علل القراءات.

ISSN: 2706-6495

The Rationales for Qur'anic Readings among Early Scholars: An Applied Inductive Study

Dr. Abdullah Younis Abdullah Touri

Assistant Professor of Qur'anic Readings، Department of Shari'ah، Faculty of Arts and Humanities، King Abdulaziz University، Saudi Arabia

Abstract:

This research addresses the topic of the rationale behind Quranic readings according to early scholars, a crucial subject in the science of Quranic readings. The research focuses on studying the foundations these scholars relied upon in explaining and interpreting the various Quranic readings, clarifying their validity and their connection to the Arabic language, the Uthmanic script, the soundness of the chain of transmission, eloquence, and other principles they followed in accepting and interpreting the readings. The research aims to shed light on the concept of interpreting Quranic readings, the rationale behind them, and to reveal the methodologies of early scholars in this field. It also clarifies the types of rationale they relied upon and analyzes examples from their works to demonstrate the precision of their scientific methodology in interpreting and defending the readings. Furthermore, the research highlights the close relationship between the science of Quranic reading rationale and other Arabic and Islamic sciences such as grammar, morphology, linguistics, and exegesis. The study employs an inductive approach to gather scholarly material from primary sources, alongside a descriptive-analytical approach to study and analyze texts, and a comparative approach when necessary to demonstrate points of agreement and disagreement among the methodologies of early scholars.

The study found that scholars of Qur'anic readings relied on several key principles, including authentic transmission, conformity with the 'Uthmānic script, and the rules of Arabic grammar, morphology, and phonetics. The rationales for the readings varied across linguistic, grammatical, phonetic, and semantic aspects, reflecting the depth of scholarly methodology. The study also showed that authentic differences in Qur'anic readings concern modes of transmission rather than meaning, and that mutawātir readings were documented through the same rigorous methods used in transmitting the Qur'an. Based on these findings, the study presents several relevant recommendations.

Keywords: Reasons for the Different Readings of the Quran, Quranic Recitations, Reasons for the Different Readings

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

يُعَدُّ القرآن الكريم أصلَ الأصول، ومصدرَ الهداية والتشريع، وميدانَ الإعجاز اللغوي والبياني الذي تحدّى به اللهُ تعالى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، فكان ولا يزال محورَ الفكر الإسلامي ومصدرَ الإلهام لعلوم الأمة كافة. ومن رحم هذا الكتاب العظيم نشأت علوم شتى، منها ما يخدم ألفاظه، ومنها ما يخدم معانيه، ومنها ما يُعنى بحفظ أدائه ونقله وضبط قراءاته. ومن بين تلك العلوم برز علم القراءات القرآنية ليشكّل ركناً أساسياً في فهم النص القرآني واستيعاب ثرائه الدلالي. فالقراءات ليست مجرد تغاير في اللفظ أو النطق، بل هي وجوه أداء متعدّدة نُقلت بالتواتر عن النبي ﷺ، تعكس اتساع العربية وغزارتها، وتُظهر إعجاز الوحي في استيعاب التنوع اللغوي الذي عُرف في الأمة الأولى.

ومنذ البدايات الأولى لعلم القراءات، ارتبط هذا العلم ارتباطًا وثيقًا بعقيدة الأمة في القرآن الكريم، إذ كان الإيمان بالقراءات جزءًا من الإيمان بأن القرآن كلام الله غير المخلوق، نزل به الروح الأمين على قلب النبي ﷺ. ومن هنا نشأ الوعي المبكر بأن التعدد في القراءات لا يمسّ وحدة النص الإلهي، ولا يخلّ بسلامة العقيدة، بل يزيد النص عمقًا وثراءً.

لكن مع تطور المدارس الفكرية والمذاهب الكلامية، بدأت تبرز قراءات متباينة في فهم هذه الظاهرة، وتنوّعت مواقف العلماء تبعًا لانتماءاتهم العقدية ومناهجهم في التلقي والتأويل. فأصبح لعلماء المشرق موقف، وللمتقدمين موقف.

إنّ العلاقة بين العلل والقراءات ليست علاقة عَرَضية، بل هي علاقة جوهرية تعكس وحدة البنية الفكرية في التراث الإسلامي.

فكل قراءة من القراءات المتواترة تمثل وجهًا من وجوه التعبير عن المعنى الإلهي، وما ينشأ من اختلاف في الألفاظ أو الصيغ ليس اختلاف تضاد، بل اختلاف تنوّع، يُغني الفهم ويزيد المعاني وضوحًا. غير أن بعض القراءات الشاذة أو المؤولة أحيانًا قد تفتح بابًا للتأويل العقدي، وهو ما دعا علماء الأمة إلى وضع ضوابط صارمة لقبول القراءات، قائمة على التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وصحة المعنى، حتى لا يُستغل الاختلاف في القراءة لإثارة الشبهات أو الانحراف عن العقيدة الصحيحة. وقد أولى العلماء المتقدمين هذا الجانب عناية فائقة، فجعلوا التوجيه العقدي للقراءات ميدانًا لتحقيق التوازن بين صيانة العقيدة وحفظ النص القرآني كما ورد

1.1. إشكالية البحث:

تنبثق إشكالية هذا البحث من الميدان الدقيق الذي يجتمع فيه علم العقيدة بعلم القراءات القرآنية، وهو ميدان لم يحظَ – على أهميته البالغة – بالعناية الكافية في الدراسات الحديثة، رغم ما يزخر به من أبعاد فكرية ولغوية ومنهجية عميقة. فمع أنّ القراءات القرآنية تمثّل تنوعًا مشروعًا في أداء النص الإلهي، إلا أن هذا التنوّع كان على مرّ التاريخ مثار جدلٍ علميٍّ وعقديٍّ، خاصة عندما ارتبطت بعض أوجه القراءات بمسائل خاصة بالعلل في القراءات القرآنية ومن هنا وُلد التساؤل الذي يُشكّل لبّ هذه الدراسة:

إلى أيّ مدى أثّرت العلل عند العلماء المتقدمين في توجيه القراءات القرآنية، وكيف انعكس ذلك على مواقفهم من قبول بعض القراءات؟

إنّ هذه الإشكالية تتفرّع عنها مجموعة من الأسئلة التفصيلية التي تسعى الدراسة للإجابة عنها بتوازن علمي، ومن أبرزها:

ما هو تعريف القراءات والقرآن الكريم؟ وما العلاقة بين القرآن والقراءات من منظور لغوي وعقدي؟ وما هي علل الحروف السبعة وموقف العلماء من القراءات الشاذة أو التي توهم مخالفة في العقيدة؟

2.1. أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول واحدًا من أدقّ ميادين المعرفة القرآنية والعقدية، وهو ميدان التفاعل بين علم القراءات وعلم العقيدة في إطار مدرسة العلماء المتقدمين، تلك المدرسة التي تميّزت بخصوصيتها الفكرية والمنهجية، وبعمقها في الجمع بين علوم النقل والعقل. فالقراءات القرآنية ليست مجرّد اختلاف في الأداء الصوتي أو النحوي، وتعدّدًا في مستويات المعنى، والعلل في القراءات القرآنية، مما يفتح آفاقًا رحبة للتأمل في جمال النص القرآني ودقة بيانه، ومن هنا، تتجلّى أهمية هذا البحث.

ISSN: 2706-6495

3.1. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

التعرف على مفهوم القراءات القرآنية، العلاقة بين القرآن والقراءات من منظور لغوي وعقدي، وبيان العلل القراءات القرآنية؛ كما يهدف البحث إلى توضيح موقف العلماء من القراءات الشاذة أو التي توهم مخالفة في العقيدة، كيفية علة تعدد القراءات القرآنية.

4.1. منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي لجمع المادة العلمية من المصادر الأصلية، بجانب المنهج الوصفي التحليلي لدراسة النصوص وتحليلها، وأيضًا على المنهج المقارن عندما يلزم لإظهار أوجه الاتفاق والاختلاف بين مناهج العلماء المتقدمين، واعتمد البحث على استقراء في جمع المادة العلمية من مصادر القراءات القرآنية والتوجيه للقراءات عند المتقدمين، كما يتم استخدام دراسة العلل وبيان أسسها اللغوية والصوتية، والاعتماد على ظهور أقوال العلماء المتقدمين في ذلك.

5.1. سبب اختيار هذا الموضوع:

اختيار هذا الموضوع لم يكن اعتباطًا، بل جاء نتيجة قناعة علمية ومنهجية بضرورة إعادة قراءة التراث القرآني، ويرجع ذلك لندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت علل القراءات القرآنية عند المتقدمين.

2. الدراسات السابقة:

تناولت عدد من الدراسات الحديثة العلاقة بين القراءات القرآنية والدلالة العقدية أو السياقية، مما يسهم في إثراء الجانب النظري لهذا البحث، وإن اختلفت هذه الدراسات في نطاقها وموضوعها ومناهجها. ويمكن إبراز أبرز هذه الجهود فيما يأتي:

دراسة صالح وآخرين (2024)، بعنوان "دلائل القراءات في العقيدة في قول الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي (ت 494هـ)"، حيث تطرقت الدراسة إلى البعد العقدي الكامن في اختلاف القراءتين المشهورتين: مالك يوم الدين وملك يوم الدين .وقد سعى الباحثون إلى استجلاء المعاني العقدية المترتبة على اختلاف اللفظين، وكيف تعامل المفسّر الزيدي الحاكم الجشمي مع هاتين القراءتين في ضوء تصوره العقدي. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن، مستقرئةً أوجه الدلالة التي تستند إلى القراءات، ومقارنةً بين موقف المفسرين من المذهب الزيدي وغيره من المذاهب الإسلامية. وقد انتهت الدراسة إلى أنّ الحاكم الجشمي أبرز من خلال تفسيره رؤية عقدية تقوم على التأكيد على عدل الله وملكه المطلق في يوم الحساب، وربط بين المعنى اللغوي للقراءة ودلالتها الكلامية المرتبطة بصفات الله تعالى كالملك والعدل.

كما أظهرت الدراسة أن تنوع القراءات لا يُحدث تعارضًا عقديًا، بل يُثري المعنى ويوسّع آفاق الفهم العقدي للنص القرآني، وأنّ الحاكم الجشمي تعامل مع القراءات في ضوء منهج تأويلي عقلاني ينسجم مع أصول مذهبه الكلامي دون أن يخرج عن المعنى العام المتفق عليه عند جمهور المسلمين.

دراسة عبدي وآخرون (2024) الموسومة بـ "أثر السياق في توجيه الدلالة القرآنية عند الشيخ حيدر حبّ الله"، فقد تناولت بالدراسة والتحليل أثر السياق النصي والمقامي في تحديد المعنى القرآني وتوجيه دلالاته، من خلال تحليل منهج الشيخ حيدر حبّ الله في تفسيره لبعض الآيات ذات القراءات المتعددة. اعتمد الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، مركّزين على رصد الآليات اللغوية والسياقية التي يعتمدها المفسر في ترجيح أحد المعاني أو القراءات على غيرها. وقد بينت الدراسة أن السياق بمستوياته المختلفة – اللفظي، والمعنوي، والمقامي – يشكل عنصراً حاسماً في فهم النص القرآني، وأنّ الشيخ حبّ الله يعتمد عليه بوصفه معيارًا أساسياً في التوجيه الدلالي للقراءات، بعيدًا عن الانغلاق المذهبي أو التفسير المجرد من المعنى. أكدت النتائج أن السياق يضبط مسار الفهم التأويلي ويحول دون الانزلاق في القراءات المتكلفة التي قد تُحدث التباساً عقدياً أو لغوياً، مما يجعل التوجيه القرائي قائمًا على توازن بين المعنى اللغوي

الصحيح والعقيدة المستقيمة. وتبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تلفت النظر إلى دور السياق بوصفه أداة تفسيرية دقيقة تضمن التوازن بين المعنى والإيمان، وهو ما يتقاطع منهجيًا مع ما يسعى هذا البحث إلى توضيحه من منهج العلماء في ربط التوجيه القرائي بالأصول العقدية واللغوية ويُمثل هذا دراسة علل القراءات القرآنية عند العلماء المتقدمين جانبًا هامًا من التراث القرآني. فهي تكشف عن دقة منهجية هؤلاء العلماء في فحص الروايات، والتمييز بين القراءات الصحيحة والشاذة، وربط القراءات بأصولها اللغوية والنحوية والصوتية، وروابطها المعتمدة. علاوة على ذلك، يتضح أن مفهوم العلة عند المتقدمين أوسع دلالة مما ذكره بعض العلماء في الدراسات السابقة، لم يكن مقصوراً على أسباب رد القراءة أو تضعيفها، وإنما شمل الكشف عن أسرار الاختيار، كما ظهرت أوجه الترجيح في القراءات عند المتقدمين؛ كما يتضح أيضًا أن مفهوم "السبب" عند هؤلاء العلماء لم يقتصر على شرح سبب الضعف أو الرفض، بل شمل أيضًا بيان أسباب الاختيار والتفضيل، وشرح الحكمة اللغوية والدلالية الكامنة للقراءات القرآنية.

دراسة الكثيري (2024) بعنوان "طرق توجيه القراءات القرآنية عند موسى المعدّل (ت 500هـ) في كتابه" ، تتناول هذه الدراسة منهج أحد أعلام المدرسة المغربية في القراءات، وهو الإمام موسى المعدّل، مبينةً أساليبه في توجيه القراءات وطرائق تعامُلِه مع أوجه الاختلاف بين القراء. اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، مع مقارنة نصوص الكتاب بغيره من المؤلفات القرائية في الفترة نفسها، للكشف عن مدى تفرّد المعدّل بمنهجه في التوجيه. وأظهرت الدراسة أنّ المعدّل اتخذ من اللغة والنحو والبلاغة أسسًا أصيلة في توجيه القراءات، دون أن يُغفل الجانب العقدي الذي يضمن انسجام التوجيه مع أصول الاعتقاد. وأكدت النتائج أنّ منهج المعدّل يعكس توازن المدرسة الأندلسية التي تجمع بين التحقيق اللغوي والتأصيل الإيماني، وأنه أسّس رؤيةً قرائيةً تجمع بين التلقي الموثوق والاستدلال العقلي المنضبط. كما أبرزت الباحثة أنّ المعدّل لم يكن متأثرًا فحسب بالمشارقة في منهجهم القرائي، بل طوّر منهجًا خاصًا بالغرب الإسلامي يعتمد على الجمع بين جمال اللغة وصفاء العقيدة، في انسجام تامّ مع روح المدرسة المالكية في المغرب والأندلس.

دراسة زهران (2024م)؛ بعنوان: "ضوابط قبول القراءة القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين (دراسة مقارنة)" تناولت هذه الدراسة معنى ضوابط قبول القراءة القرآنية، بما يشمل مفهوم القراءة القرآنية، ومفهوم القراءة المقبولة عند المتقدمين، كما هدفت إلى ضوابط قبول القراءة القرآنية عند المتقدمين، ووضحت تطبيقات عملية لضوابط المتقدمين، كما ناقشت هذه الدراسة التحول المنهجي في ضوابط قبول القراءة من المتقدمين إلى المتأخرين.

بالنظر إلى ما سبق ومما تبين تناول الباحث هذه الدراسة في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: توجيه القراءات القرآنية.

المطلب الأول: تعريف توجيه القراءات والقرآن.

المطلب الثاني: العلاقة بين القرآن والقراءات من منظور لغوي وعقدي.

المبحث الثاني: علل القراءات القرآنية.

المطلب الأول: موقف العلماء من القراءات الشاذة أو التي توهم مخالفة في العقيدة.

المطلب الثاني: علة تعدد قراءات القرآن.

المبحث الأول: توجيه القراءات القرآنية

المطلب الأول: تعريف توجيه القراءات القرآنية

ـ تعريف التوجيه لغةً واصطلاحًا:

أولًا: التوجيه

التوجيه لغة: الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلته لشيء. "والوجه" مستقبل لكل شيء. والتوجيه عند المقرئين يقصد به تبيين وجه قراءة ما والإفصاح عنه، باعتماد الأدلة الإجمالية للعربية من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال وغيرها.

ولمصطلح التوجيه مرادفات ذكرها أئمة العربية ممن راموا تبيين وجوه القراءات والإيضاح منها، منها: التعليل، منه "كتاب التعليل في القراءات السبع" لأبي عباس الموصلي النحوي. والإيضاح ومنه "كتاب المحتسب في تبيين وجوه القراءات" لابن أبي مريم (الرازي، 2007م، صالح، 2021).

تعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحًا:

أولًا: التعريف اللغوي (من حيث الاشتقاق والدلالة)

يرجع أكثرُ علماء اللغة إلى أن لفظ القرآن "مشتقٌّ" من الفعل قرأ، أي: تلا وضمَّ الحروف والكلمات بعضَها إلى بعض، ومنه: «قرأتُ الكتاب» أي تلوته وجمعت حروفه في النطق؛ فالتلاوة في أصلها جمعٌ ونظمٌ للأصوات والمعاني. وذهب فريقٌ إلى احتمال اشتقاقه من قرن (بالنون) بمعنى الجمع والضمّ أيضًا، على أن «القرآن» مصدرٌ على وزن فُعال يدل على الجمع؛ لأنه يجمع ثمرات الوحي من عقائد وشرائع ومواعظ وأخبار. وهذان المسلكان اللغويان — قرأ/قرن —يلتقيان عند الدلالة على الضمّ والنسق والاتساق؛ وهي معانٍ تظهر في كونه كتابًا مجموعًا متلوًّا مُحكم السبك، محفوظ النظم والأداء (السخاوي، 1412هـ، حازم، 2004م).

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي العام (الصياغة الجامعة)

معلوم أن القرآن كلام الله وأن كلام الله غير كلام البشر، وعرفه أئمة أهل السنّة — تعريفًا جامعًا للقرآن بأنه :كلامُ الله تعالى، المُنزَّلُ على نبيّه محمدٍ ﷺ بلفظه ومعناه، بواسطة جبريل عليه السلام، المُعجِزُ بأقصرِ سورةٍ منه، المتعبَّدُ بتلاوته، المنقولُ إلينا تواترًا، المكتوبُ بين الدفّتين، المفتتحُ بالفاتحة والمختتمُ بالناس. ويتضمن هذا التعريف عناصر منهجية مقصودة (الزرقاني، 2016م)

1. كلام الله: تقرير الأصل العقدي أن القرآن كلامٌ إلهيٌّ حقيقيّ، ليس بمخلوق.
2. الإنزال والوحي: بيان طريق الوصول (جبريل/الوحي) إلى النبي ﷺ.
3. الإعجاز: تقرير السِّمة المميّزة التي تفصل القرآن عن سائر الكلام.
4. العبادة بالتلاوة :جعل الأداء القرآني نفسه قُربة، بخلاف غيره من الكلام.
5. التواتر: اشتراط أعلى درجات النقل؛ صيانةً للنص من الشك والآحاد.
6. التدوين والرسم: ضبط حدّ المصحف (من الفاتحة إلى الناس) حفظًا لِحُرمة النصّ وتمييزًا له عن الحديث القدسي والتفسير والقراءات الشاذّة.

- تعريف القراءات وضوابطها الأساسية:

أولًا: التعريف اللغوي والاصطلاحي للقراءات:

القراءات في اللغة مأخوذة من الفعل قرأ، أي: تلا، ويدلّ على الجمع والضمّ، ومنه سُمِّي القارئ قارئًا لأنه يجمع الحروف والكلمات وينطق بها على نسقٍ واحد. أما في الاصطلاح، فقد عرّفها علماء بأنها وجوه الأداء المختلف فيها من النطق بالقرآن الكريم، مما ثبت نقله عن الأئمة القرّاء المتواترين، وتوافرت فيه شروط الصحة من السند والرسم واللغة .فالقراءة لا تُعدّ وجهًا قرآنيًا صحيحًا إلا إذا نُقلت بالسماع المتصل إلى النبي ﷺ، ووافقت رسم المصحف العثماني ولو احتمالًا، وجاءت على وجهٍ صحيحٍ من وجوه اللغة العربية. ومن ثم، فكل قراءة مستوفية لهذه الشروط الثلاثة تُعدّ قرآنًا متواترًا، يتعبّد بتلاوته، ويُستنبط به الحكم والمعنى (شعبان، 2003م).

ثانياً: الضوابط الأساسية لقبول القراءة:

وضع علماء لقبول أي قراءة، ثلاثة ضوابط أساسية وهي (شعبان، 2003م):

1. **التواتر أو صحة السند:** أي أن تكون القراءة منقولة عن النبي ﷺ برواية صحيحة متواترة، لا يُكتفى فيها بخبر الآحاد، لأن القرآن لا يُثبت إلا بالتواتر، حفظًا للنص من الزيادة أو النقصان. لذلك حرص العلماء على توثيق الأسانيد، وضبط الروايات عن القرّاء العشرة المشهورين، وإثبات وجوه الأداء في مصنفاتهم بدقة بالغة.
2. **موافقة الرسم العثماني ولو احتمالًا:** ويُقصد به أن توافق القراءة خطّ المصحف العثماني الذي أُجمع عليه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فالرسم العثماني كان معيارًا لحفظ وحدة النص، إذ استوعب أوجه القراءات المتواترة دون إخلال بسلامة الرسم أو المعنى. لذا، كان علماء شديدي العناية بالمصاحف العثمانية التي وصلت إلى بلادهم، وجعلوا منها أصلًا في ضبط الأداء القرائي (ابن العربي، 1431هـ).
3. **موافقة العربية بوجهٍ صحيح:** أي أن تكون القراءة جاريةً على قواعد اللغة العربية ولهجاتها الفصيحة، لأن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين. فكل وجه قرائي يخالف سنن العربية يُعدّ شاذًّا لا يُقرأ به، ولو صحّ سنده. وقد أولى علماء هذا الضابط اهتمامًا خاصًا، لما امتازوا به من عمقٍ لغويٍّ واهتمامٍ بالنحو والبلاغة، فكانوا يوجّهون القراءات وفق أصول العربية مع الحفاظ على المعنى العقدي الصحيح (ابن العربي، 1431هـ).

ثالثاً: الضوابط الفرعية المكملة:

إلى جانب الضوابط الثلاثة الكبرى، أضاف علماء الغرب الإسلامي ضوابط فرعية تعزّز التثبت والدقة، منها:

- سلامة المعنى العقدي :فلا تُقبل قراءة توهم نقصًا في صفات الله أو تعارضًا مع أصول التوحيد.
- موافقة سياق الآية والمقام :إذ ينبغي أن تتسق القراءة مع المعنى العام للآيات قبلها وبعدها.
- شهرة الأداء بين أهل القراءات: فالقراءة لا تُبنى على اجتهادٍ فردي بل على ما تواتر واشتهر عند الأئمة.

رابعاً: الدلالة العلمية لهذه الضوابط

تُظهر هذه الضوابط أن علم القراءات عند علماء الغرب الإسلامي لم يكن علمًا صوتيًا أو لغويًا بحتًا، بل كان علمًا مركزيًا يجمع بين الرواية والدراية، والنقل والعقيدة .فبها حُفظ القرآن في نطقه وأدائه، وبها فُهم على وجهٍ يوافق أصول الإيمان ويُبرز إعجازه اللغوي والعقدي. وقد أسهم هذا المنهج في تكوين مدرسة مغاربية متقنة في القراءات، تمزج بين دقة الإسناد، وصحة الأداء، وصفاء العقيدة، مما جعلها ركنًا أساسيًا في صون التراث القرآني وتاريخه العلمي (شعبان، 2020م).

المطلب الثاني: العلاقة بين القرآن والقراءات من منظور لغوي وعقدي

أولًا: العلاقة من المنظور اللغوي

من الناحية اللغوية، تمثل القراءات القرآنية وجوه الأداء التي نُقل بها النص القرآني عن النبي ﷺ، وهي تعكس غِنى اللغة العربية وسعتها في التعبير. فالقرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، وتنوعت قراءاته لتستوعب اختلاف لهجات العرب وتنوّع طرائق نطقهم، دون أن يُغيّر ذلك من دلالة النص أو مقاصده.

ومن هذا المنطلق، نظر العلماء المتقدمين (وهم علماء القرون الأولى للإسلام. تميزوا بالرسوخ العلمي والفهم المباشر لنصوص الوحي. لقد وضعوا القواعد الأساسية لعلوم الشريعة واللغة. لفهم أعمق) (شعبان، 2020م)، إلى القراءات على أنها امتدادٌ طبيعيّ للبيان العربي، تُظهر إعجاز القرآن في جمعه بين الفصاحة والوحدة رغم اختلاف الأوجه، وأنّ كل قراءة تُضيف بُعدًا بيانيًا أو بلاغيًا يزيد النص جمالًا وثراءً. فاختلاف الحركة أو الإعراب أو البنية الصرفية بين قراءة وأخرى يُفضي إلى ظلال دلالية متعددة، لكنها كلها تدور في فلك المعنى الواحد الذي أراده الله تعالى. وهكذا كانت القراءات عندهم تجلّيًا للمرونة اللغوية التي ميّزت النص القرآني، وحفظت له أصالته اللسانية في وجوه الأداء المتعددة (شعبان، 2022م)

ثانيًا: العلاقة من المنظور العقدي

أما من الناحية العقدية، فإنّ العلاقة بين القرآن والقراءات تمثّل جوهر الإيمان بطبيعة الوحي الإلهي. فالإيمان بالقرآن لا يكتمل إلا بالإيمان بجميع قراءاته المتواترة، لأنها كلها وحيٌ من عند الله تعالى، نزل بها جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، وأقرّها في تلاوته وأدائه. ومن ثمّ، فإنّ تعدد القراءات ليس اختلافًا في النص، بل هو تنوّع تعبديّ مشروع يدل على رحمة الله بعباده وتيسيره لتلاوة كتابه.

أكدوا العلماء أن هذا التعدد لا يمكن أن يؤدي إلى تناقض عقدي، لأن مصدر القراءات واحد، والمتكلم بها هو الله تعالى، والقراءات كلها تصبّ في تأكيد صفاته وكماله وتنزيهه. ومن هنا جاءت الموازنة في الجمع بين القراءات والعقيدة؛ فقد جعلوا صحة الاعتقاد شرطًا لتوجيه القراءة وفهمها، فلا تُفسَّر قراءةٌ بما يخالف أصول التوحيد أو تنزيه الله تعالى.

وإذا احتملت القراءة وجهين أحدهما يُوهِم نقصًا في صفات الله والآخر يُنزّهه، رجّحوا الوجه الموافق للعقيدة، لأن الإيمان مقدم على التأويل اللغوي. وهكذا أصبحت القراءات عندهم وسيلةً لترسيخ العقيدة، لا ميدانًا للجدل أو الانقسام، وأضحى التوجيه القرائي عندهم مبنيًّا على قاعدةٍ راسخة هي: أن اللغة تخدم العقيدة، وأن تنوع القراءات من دلائل إعجازها لا من أسباب اختلافها.

ثالثًا: تكامل البعدين اللغوي والعقدي

إنّ التكامل بين البعدين اللغوي والعقدي في العلاقة بين القرآن والقراءات هو ما جعل المدرسة المغربية والأندلسية نموذجًا فريدًا في الجمع بين البيان والإيمان .فالنص القرآني عندهم يُقرأ بلسانٍ عربيٍّ محكم، لكن مع استحضار أن كل لفظٍ فيه يحمل معنىً إيمانيًا يعبّر عن كمال الخالق وصفاته وعدله.

فاللغة كانت عندهم وسيلة للتدبر في معاني الإيمان، والعقيدة كانت ضابطًا يحفظ للنص قدسيته، فلا يُتعامل معه كنص لغوي عادي، بل كوحيٍ معجزٍ يُقرأ ويتدبّر ويُتعبّد به. ولهذا يمكن القول إنّ العلاقة بين القرآن والقراءات لم تكن علاقة شكلٍ بأداء، بل علاقة مضمونٍ بعقيدة، ولفظٍ بإيمان، جعلت من القراءات بابًا لفهم أسرار الوحي، ومن العقيدة سياجًا يحفظ سلامة هذا الفهم من الانحراف والخلل (شُعبان، 2019م، محمد لطفي، 1410هـ).

المبحث الثاني: علل القراءات القرآنية:

ـ تعريف العلة لغة واصطلاحًا:

العل، والعلل محركة الشربة الثانية، أو الشرب بعد الشرب تباعًا، يقال: علل بعد نهل: «إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النَّهَل، والثانية العلل». وعل بنفسه يعل، ويعل من باب ضرب ونصر، يتعدى، ولا يتعدى، يقال: علت الإبل تعل وتعل؛ إذا شربت الشربة الثانية" (ابن منظور، 1414هـ، الرازي، 1393هـ). « عل الرجل يعل من المرض».

وأعله إعلانًا: سقاه السقية الثانية، وهذا طعام قد عل منه، أي: قد أكل منه. وأعله الله تعالى أي: أصابه بعلة، فهو معل وعليل" (ابن منظور، 1414هـ، الرازي، 1393هـ).

والعلة اصطلاحًا هي "ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا مؤثرا فيه، وأيضا هي عبارة عما يجب الحكم معه" (الجرجاني، 1403هـ). وقيل إن "العلة هي السبب الذي تحقق في المقيس عليه فأوجب له حكمًا وتحقق في المقيس أيضًا فألحق به فأخذ حكمه" (أبو المكارم، 2006م)

المطلب الأول: موقف العلماء من القراءات الشاذة أو التي توهم مخالفة في العقيدة

تميّز العلماء المتقدمين بموقفٍ متّزنٍ وعميقٍ من القراءات الشاذة أو تلك التي قد تُوهم مخالفةً لأصول العقيدة، إذ تعاملوا معها بروحٍ علميةٍ تقوم على الجمع بين التحقيق الإسنادي، والتحليل اللغوي، والتقويم العقدي؛ فبينما أبدى بعض المفسرين في المشرق تساهلًا في

ذكر القراءات غير المتواترة داخل التفسير، فإن المدرسة المغربية والأندلسية كانت أكثر انضباطًا وصرامةً، فجعلت القراءة المتواترة وحدها حجةً في التلاوة والعبادة، أما غيرها فلا تُقبل إلا على سبيل الاستشهاد والتفسير، بشرط ألا تُعارض أصلًا عقديًا أو قاعدة شرعية (بوغزالة، 2010م)

أولًا: رفض القراءات التي لم تثبت تواترًا عن النبي ﷺ

كان العلماء يرون أن التواتر شرطٌ لازمٌ لقبول القراءة، وأن ما لم يثبت بالنقل المتواتر لا يُعد من القرآن، ولو صحّ سنده من جهة الرواية أو كان صحيح المعنى. فهم يُفرّقون بوضوح بين صحة الإسناد الحديثي والتواتر القرآني، ويؤكدون أن القرآن لا يُثبت بالآحاد، لأن الآحاد يفيد الظن، بينما القرآن قطعيّ الثبوت. وقد نصّ الإمام أبو عمرو الداني في كتابه جامع البيان في القراءات السبع على أن ما لم يتواتر نقله فلا يجوز القراءة به في الصلاة ولا يُعدّ من القرآن، لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ بطريقٍ قاطع. واتفق معه ابن الجزري لاحقًا في قوله المشهور: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، وصح سندها، فهي من القراءات الصحيحة المقبولة، وما لم يكن كذلك فهو شاذ لا يُقرأ به. فمن هذا المنطلق، حصر العلماء القراءات المقبولة في القراءات السبع ثم العشر المتواترة، وعدّوا ما عداها من القراءات الشاذة التي لا يُتعبد بها. وقد ساهم هذا الموقف في توحيد الأداء القرآني في المغرب والأندلس على رواية نافع المدني، التي تواترت وذاع انتشارها في كل البلاد المغاربية (عزوزي، 1993م).

ثانيًا: التفريق بين القراءة الشاذة والقراءة التفسيرية

لم يكن رفض العلماء للقراءات الشاذة رفضًا مطلقًا من حيث الفائدة، بل ميّزوا بين القراءة الشاذة بوصفها نصًّا قرآنيًا والقراءة التفسيرية بوصفها بيانًا للمعنى. فقد قبلوا بعض القراءات الشاذة على سبيل التفسير، إذا كانت تحمل معنى صحيحًا لا يتعارض مع العقيدة أو النص القرآني المتواتر، واستفادوا منها في توضيح المعنى البلاغي أو بيان وجهٍ لغويّ نادر. وقد قال الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن القراءة الشاذة لا تُقرأ بها في الصلاة، ولكن يجوز الاستشهاد بها في التفسير واللغة إذا صح معناها ولم تخالف رسم المصحف أو قاعدةً *شرعية*. وهذا يعني أن القراءات الشاذة في منهجهم لم تكن باطلة من حيث الفائدة اللغوية، بل مرفوضة من حيث الحجية التعبدية، لأن القرآن لا يُثبت إلا بالتواتر. أما إذا كانت القراءة الشاذة تُوهم معنىً مخالفًا لأصلٍ عقدي، كأن تُوهم التجسيم أو التشبيه أو إنكار صفةٍ من صفات الله تعالى، فإنهم كانوا يردّونها ردًّا قاطعًا، ويُحذّرون من اعتمادها حتى في التفسير، لأنها تفتح باب الانحراف في العقيدة (العمريش، 2021م).

ثالثًا: التعامل العقدي مع القراءات التي قد تُوهم مخالفة في الصفات أو الغيبيات

كانت المدرسة المغربية والأندلسية من أشدّ المدارس الإسلامية تمسكًا في التنزيه والإثبات، ولذلك تعاملت بحذرٍ بالغ مع القراءات التي يمكن أن تُوهم مخالفة في العقيدة. فإذا وردت قراءةٌ متواترةٌ ظاهرها يوهم التشبيه أو الجبر، فإنهم يُوجّهونها توجيهًا عقديًا صحيحًا يُثبت الصفة ويُنزه الله في الوقت نفسه. أما إن كانت القراءة شاذة توهم المعنى الفاسد، فإنهم يرفضونها رفضًا تامًا. فعلى سبيل المثال، في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]

جاءت قراءة بنصب لفظ الجلالة (اللهَ) – وهي قراءة شاذة – توهم أن المتكلم هو موسى، فرفضها العلماء لأنها تُخلّ بعقيدة إثبات صفة الكلام لله تعالى. أما القراءة المتواترة برفع لفظ الجلالة (اللهُ)، فهي المعتمدة لأنها تُثبت الصفة على وجه الكمال، فاختارها علماء وأجمعوا على أن ما خالفها شاذ لا يُقرأ به. وهكذا، جعلوا من سلامة العقيدة المعيار الأعلى الذي تُقاس به جميع القراءات، بحيث لا يُقبل في كتاب الله ما يُحتمل منه ما يُنافي التنزيه الإلهي أو يُضعف أصل التوحيد (*مذكّرة في مادة علم توجيه القراءات*، 2020م)

اختلف علماء المسلمين بشكل كبير حول معنى الأحرف السبعة المذكورة في الحديث الشريف، حتى تجاوز هذا الخلاف الحدود المعقولة وأثار ارتباكًا بين الباحثين. وقد انعكس هذا الاختلاف بين العلماء المتقدمين على العلماء المتأخرين، مما زاد من تعقيد المسألة.

فعلى سبيل المثال، الإمام ابن الجزري، المشهود له بخبرته الواسعة في علم القراءات وما يتصل به من علوم القرآن، كان من بين الذين أثروا في دراسة هذا الموضوع وأهميته (عبده، والطيار، 1427هـ).

كان العرب، الذين نزل القرآن بلغتهم، يختلفون في ألسنتهم وتتنوع لهجاتهم؛ وكان من الصعب على أحدهم أن يتحوّل عن لهجته التي نشأ عليها إلى لهجة أخرى، لأن ذلك لو كان مفروضًا عليهم من الله تعالى لكان في ذلك مشقة كبيرة عليهم (عبده، والطيار، 1427هـ).

قال الله تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ 286﴾ [البقرة: 286]

اقتضت رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ييسر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها، فجاءت الحكمة الإلهية بأن يُقرئ الرسول الكريم كل قبيلة بما يتناسب مع لغتها ويوافق لسانها، حرصًا على إيصال الرسالة الإلهية إلى العرب بمختلف قبائلهم، ومن خلالهم إلى كافة شعوب العالم. فقد كان بين العرب، مع اختلاف قبائلهم، من العصبية الجاهلية وقوة التمسك بعاداتهم ما يصعب معه التخلي عنها لصالح غيرها، مما قد يؤدي إلى مشقة كبيرة وسوء فهم لمعاني الكتاب المبين .وهذا بدوره يشكل خطرًا يتمثل في احتمال تحريف الدلالات أو الالتباس في الفهم

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دراية كاملة بالتفاوتات اللغوية واللهجية بين القبائل، بل وحتى بين أبناء القبيلة الواحدة، سواء في تفاصيل دقيقة كالإمالة والهمز والمد أو في أساليب النطق المختلفة. ولهذا كان حريصًا على مراعاة تلك الفروقات وتيسير الفهم والتواصل بينهم .أدرك النبي صلى الله عليه وسلم تمامًا أنه قد بُعث إلى أمة بسيطة يغلب عليها الأمية، تضم فئات متعددة من كبار السن والشباب ومن لم يقرأ كتابًا قط (الدكتور: حسين، 1982م)، لذلك، كان دائم الدعاء لله طلبًا للتوسعة والتيسير في قراءة القرآن، حيث كان يقول لجبريل عليه السلام" :اسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتي لا تطيق ذلك "إسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك" وقد كان له ما أراد (الدكتور: لبيب، 1978م)

وقد اهتم علماء الأمة بالحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف فعرضوا لها وبسطوا القول فيها، من ذلك ما أورده ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ونقله عنه ابن الجزري في (النشر) حيث قال: فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه أن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ عين، يريد: حتى حين... والأسدي يقرأ "تعلمون وتعلم" و"تسود وجوه "ألم أعهد إليكم" (ابن الجزري، 2007م)

كل ذلك بكسر حرف المضارعة، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ "قيل لهم" "وغيض الماء " (ابن قتيبة، 1954)، بإشمام الضم مع الكسر و "بضاعتنا رُدت" (عبده، 1996م)، بإشمام الكسر مع الضم، "ومالك لا تأمنا"

تم تبني فكرة التيسير والتسهيل في الأحرف السبعة المتعلقة بالقرآن كواحد من الآراء العديدة التي نُقلت حول تفسير حديث الأحرف السبعة في القرآن الكريم، قال الحافظ أبوحاتم بن حبّان بن أصبغ السبتي الأندلسي (ت 354 هـ) إنه اختلف فيها على خمسة وثلاثين قولا منها " أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به[1] الحصر (عبده، 1996م)

ونقل السيوطي عن القاضي عياض أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الأحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين (ابن مجاهد، 1988م، شاهين، 2007م)

[1] الهاء تعود على حديث الأحرف السبعة

وهذا القول ذكره ابن الجزري دون إسناد فقال: "ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر"

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: 261] ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ [التوبة: 80]

وقد أقر بهذا بعض المحدثين منهم المستشرق "جولد تسيهر" حيث قال: وليس مفترضا، فيما يبدو، أن يكون القصد إلى تحديد حسابي ثابت مفهوم من عدد السبعة في هذا الحديث... بل المراد من هذا العدد حتى في حالة اتخاذه دليلا على فروق النص أي اختلاف القراءات هو إفادة معنى الكثرة، فالقرآن على أحرف كثيرة العدد، وكل منها يمثل على قدم المساواة كلام الله المعجز" (الدكتور: إبراهيم، 1984م)

وقد تُجَاوِزَ السَّعَةُ في الأحرف العدد سبعة، إلا أن الغالب فيها ـ كما يبدو يتأرجح بين الواحد والسبعة، وفي الرابعة بسبعة أحرف. ولم يزد على ذلك حرفا، وفي حديث أبي بكرة أن الرسول ـ بعد بلوغ العدد سبعة قال: فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة" (شاهين، 2007م)، وقد فسر ذلك ابن الجزري بإرادة العدد سبعة وانحصاره" (ابن الجزري، 2024)

والأرجح أنه دال ـ في الحديث – على أي عدد من الأعداد السابقة عليه بدءًا من الواحد حتى السادس أيضا، يدل على ذلك ما رواه الحاكم: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف" (الزركشي، 1401هـ)

وقد علق أبو شامة على الحديث بقوله: يحتمل أن يكون معناه أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف... أو أراد: أنزل ابتداء على ثلاثة ثم زيد إلى سبعة"، وذهب الزركشي إلى أن معنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يقرأ على حرفين، وعلى ثلاثة، وأكثر إلى سبعة أحرف" (الزركشي، 1401هـ)

وأكثر من الثلاثة إلى السبعة يمكن أن يكون أربعة أو خمسة أو ستة، وهذا يتماشى مع ما رُوي عن مجاهد بأنه كان يقرأ القرآن على خمسة (فتحي ،1995م)

المطلب الثاني: علة تعدد قراءات القرآن

إذا كان من الضروري التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات، فلا يمكن إنكار أن الأحرف السبعة تمثل الأساس الذي قامت عليه القراءات المتواترة والمشهورة .بناءً على ذلك، فإن تفسير تعدد هذه القراءات يرتبط بشكل وثيق بالإطار الذي تم فيه تفسير الأحرف السبعة وتنوعها. (مذكّرة في مادة علم توجيه القراءات، 2020م)

هذا يعود إلى أن العرب، الذين نزل بينهم القرآن، كانت لغاتهم متنوعة وألسنتهم مختلفة، بالإضافة إلى أن بعضهم كان متأثراً بعادات الجاهلية أو غير قادر على التخلي عما نشأ عليه من تقاليد لغوية، ومن أهداف نزول القرآن أن يصل مشافهة إلى أكبر شريحة ممكنة من الأمة، مما استلزم مرونة في كيفية أدائه، سواء كما قرأه النبي ﷺ أو كما قرأه الصحابة وأقرهم عليه، كما أن اختلاف الصحابة في القراءة كان بسيطاً خلال المراحل الأولى من نزول الوحي، لكنه بات أكثر وضوحاً وتنوعاً في المراحل الأخيرة .ويرجع ذلك إلى ازدياد عدد القراء من جهة، وتوسع رقعة الإسلام ودخول قبائل جديدة بلغات ولهجات مختلفة من جهة أخرى تم توثيق هذه الاختلافات خلال عملية توثيق النص القرآني في عهد الخلفاء الراشدين .وقد سعى الصحابة من القراء إلى الاحتفاظ بما تميزوا به عن الرسول ﷺ ونقل ذلك إلى أهل المناطق التي استقروا فيها (إبراهيم، 1984م)

هذا السياق يمثل الإطار الأساسي الذي احتضن نشأة القراءات منذ البداية، مرورًا بمرحلة نسخ المصاحف العثمانية وما تميزت به من تسامح في الاحتفاظ بجزء كبير من تلك القراءات المتواترة ومع حلول القرن الثاني للهجرة، بدأت جهود تدوين القراءات، حيث قام كبار علماء الأمة وأئمتها ببذل جهود عظيمة في هذا المجال، فعملوا على تحديد الحقائق، جمع الحروف والقراءات، وتوثيق الوجوه

والروايات؛ كما ميزوا بين القراءات المتواترة والشاذة، وبين الصحيح وما كان أقل قوة، عبر وضع أصول محكمة وقواعد دقيقة لتصنيفها وتحليلها (الفارسي، 1983م)

ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو اختلاف القراءات المتواترة والمشهورة، وهو اختلاف لا يحمل في طياته أي تناقض أو تضارب؛ بل إن هذا الاختلاف يمثل تنوعًا وتباينًا فقط، حيث تدعم هذه القراءات بعضها البعض، وتُفسر بعضها البعض، وتشهد كل واحدة منها لما يثبت صحته في الأخرى، أي أن تلك القراءات هي سواء في الأسلوب والغاية، بل هي كلها من إعجاز أسلوب القرآن الكريم. (علم توجيه القراءات وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، 2016م)

إن الذي عرضنا له من إطار تعدد القراءات لم يختلف فيه الدارسون قدماؤهم ومعاصروهم، فما من أحد منهم إلا وفسر ذلك التعدد بذلك الإطار العام، فهذا أبوشامة الدمشقي يصرح بأن القرآن «فيه من جميع لغات العرب، أي من لهجاتها، لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك" (خالد، 1986م، وبأبي شامة، 1424هـ)

والدكتور عبده الراجحي يقول: "إن السبب الرئيس عندنا في اختلاف القراءات هو ما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها، ومن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولاً بين الرسول وجبريل من ناحية، ثم بين الرسول وصحابته، ومع كتابته له في الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وجد الاختلاف [...] وعاش الصحابة مع الرسول يقرأون فيختلفون واشتهر بينهم نفر كثير [...] ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرئون هناك، ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن. وعلى هذا الأساس سارت الحال مع القراءات، فاختلف الصحابة أول الأمر في القراءة أيام الرسول ﷺ - [...] وخرجوا مع الفتوح يقرئون الناس فتختلف قراءاتهم، وكانت المصاحف العثمانية المجموعة على حرف (د. إبراهيم، 1984م)، وبعد إحراق ماعداها من مصاحف مُحتملة للكثير من هذا الاختلاف، فكثر القراء الأئمة، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم" (د. إبراهيم، 1984م). والله أعلم.

4. الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات؛ في خاتمة هذا البحث بعنوان "علل القراءات القرآنية عند المتقدمين"، يتضح أن علماء القراءات الأوائل قد أبدوا اهتمامًا كبيرًا بتوضيح علل القراءات وتوجيهها بطريقة منهجية دقيقة. فقد كان الهدف من دراسة العلة لديهم ليس التشكيك في صحة القراءة، بل اعتماد منهج علمي للكشف عن جوانبها اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية، مع التأكيد على توافقها مع الرسم العثماني وتمام تواترها .وأسهمت هذه الجهود المميزة في حفظ القراءات وتنظيمها، كما أبرزت الشمولية بين علوم القرآن الكريم واللغة العربية، مما يعكس عمق رؤيتهم ودقة منهجيتهم في الاستدلال والتحليل.

1.4. النتائج:

1. اسم "القرآن "مشتق من الفعل "قرأ"، ويتميز القرآن بوضوح الفرق بينه وبين الحديث القدسي والمصحف .وقد أثبت بطلان الادعاءات التي طرحها أهل الزيغ بأن هناك عدة أشكال من "القرآن". كما أن العديد من الأسماء التي أُطلقت على القرآن هي في الواقع أوصاف ارتبطت به وغلب استخدامها .بالإضافة إلى ذلك، هناك تمييز واضح بين "القرآن "كونه وحياً منزلاً من الله، و"القراءات "التي تمثل اختلافاً في ألفاظ ذلك الوحي
2. القراءة اللفظية المسموعة للقرآن تنطوي على أهمية عظيمة، فهي الأصل المعجز والطريقة الأكيدة لتجنب الخطأ.
3. اعتمد علماء القراءات في تفسيرهم على مجموعة من الأسس المتنوعة، أبرزها صحة السند، ومطابقة الرسم العثماني، والاحتكام إلى لغة العرب، مع الاستعانة بقواعد النحو والصرف وعلم الصوتيات. وقد جاءت علل القراءات متنوعة بين الجوانب اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية والدلالية، مما يعكس شمولية وعمق منهج العلماء في تناول هذه القراءات.

4. الطبيعة الشفوية والسماعية للقراءة القرآنية لا تحتمل القياس أو الاجتهاد .أما اختلاف القراءات القرآنية الصحيحة، فهو اختلاف في أساليب النقل والرواية وليس في المعنى أو المضمون العقلي، أما القراءات القرآنية المتواترة، فقد جاء توثيقها بنفس الأساليب التي وُثِّق بها القرآن نفسه.
5. عملية التوثيق اعتمدت على تنجيم نزوله بالتدريج، وتدوينه كتابةً، وحفظه في الصدور، وتعليمه عن طريق الإقراء الشفوي، مما يجعلها بعيدة عن أي مجال آخر.
6. تناول البحث ردّ ادعاءات المستشرقين التي تزعم أن تعدد القراءات القرآنية يعود إلى طبيعة الخط الذي كتبت به المصاحف . وأوضح أن هذا الزعم غير منطقي، إذ إن القراءات ظهرت قبل اعتماد الرسم، كما أن المسلمين لم يعتمدوا فقط على الكتابة في حفظ القرآن، بل اعتمدوا أساسًا على الحفظ في الصدور والعقول.

2.4. التوصيات:

1. العناية بتحقيق ودراسة كتب الأوائل في علل القراءات والعمل على إخراجها بشكل علمي دقيق ومتكامل.
2. تشجيع إجراء الدراسات المقارنة بين مناهج العلماء المتقدمين والمتأخرين في موضوع التعليل للقراءات القرآنية، لاستجلاء مواطن الاتفاق والاختلاف.
3. الاستفادة من مناهج علماء القراءات القديمة وتوظيفها في الدراسات اللغوية والقرآنية المعاصرة لتعزيز الفهم والتفسير.
4. توجيه اهتمام الباحثين نحو دراسة العلل التطبيقية الواردة في كتب أئمة هذا العلم، مع ربطها بأصول وقواعد علم القراءات .تعزيز مكانة علم علل القراءات ضمن برامج الدراسات القرآنية الأكاديمية، نظرًا لدوره المحوري في تفسير توجيه القراءات وفهم أبعاد إعجاز القرآن.

5. قائمة المراجع:

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس، ابن مجاهد. (1988م). مقدمة كتاب السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة.

أنيس، إبراهيم. (1984م). في اللهجات العربية. مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة: السادسة.

ابن العربي، عبد الباقي مفتاح محيى الدين. (2009م). ختم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد. (2025م). النشر في القراءات العشر. دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء: الأول.

إسماعيل، شعبان. (2019م). الروايات القرآنية في المغرب. موقع الدكتور حبتي.

إسماعيل، شعبان محمد. (1431هـ). مختصر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. دار ابن حزم.

بن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. دار صادر، بيروت.

بوغزالة، عبد الكريم. (2010م). مدرسة القراءات بالأندلس: نشأتها وتطورها وآثارها. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

حيدر، حازم سعيد. (2004م). مقدمات في علم القراءات، علم توجيه القراءات. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.

خماسي، فتحي بن الطيب. (1995م). الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات. دار المعرفة، دمشق، الطبعة: الأولى.

الراجحي، عبده. (1996م). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الرازي، محمد بن أبي بكر. (1393هـ). مختار الصحاح. دار الفكر، بيروت.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1412هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن. مؤسسة التاريخ العربي، لبنان.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (د.ت). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الجزء: الأول.

زهران، أيمن عبد الرحمن عراقي. (2024). ضوابط قبول القراءة القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين: دراسة مقارنة. مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، 3(12)، 1128–1152.

سعيد، لبيب. (1978م). الجمع الصوتي الأول للقرآن. دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية.

شاهين، عبد الصبور. (2007م). تاريخ القرآن. دار النهضة، مصر.

صالح، عبد الكريم إبراهيم، أبو علي، محمد محمود، شتية، أحمد خميس، وجغلان، أحمد محمد النجيلي. (2024). دلائل القراءات في العقيدة في قول الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 4) في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي (ت 494هـ). دورية الإنسانيات، (62)، 409–428.

الصباغ، محمد لطفي. (1410هـ). لمحات في علوم القرآن. دار المكتب الإسلامي.

الطيار، مساعد بن سليمان. (1427هـ). المحرر في علوم القرآن. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي.

عبدي، مالك، شيرخاني، محمد رضا، حنون، عايد جدوع، ورشاش، حسن فالح. (2024). أثر السياق في توجيه الدلالة القرآنية عند الشيخ حيدر حبّ الله. بحوث في اللغة العربية، 16(1)، 36–49.
https://doi.org/10.22108/RALL.2023.135807.1441

عزوزي، حسن. (1993م). التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري. مجلة الدراسات القرآنية العربية.

عطوان، حسين. (1982م). القراءات القرآنية في بلاد الشام. دار الجيل، بيروت.

العقيلي، جواد. (1955). لهجة القرآن الكريم. مجلة المجمع العلمي العراقي، 3(2)، 270–294.

العك، خالد عبد الرحمن. (1986م). تاريخ توثيق نص القرآن الكريم. دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية.

العمريش، الحسين. (2021). إسهامات القرّاء بالأندلس في ميدان القراءات. الرباط: رابطة علماء المغرب الإسلامي.

العمريش، الحسين. (2022). إسهامات القرّاء بالأندلس في ميدان القراءات. مجلة دار الدعوة، (24).

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد. (1983م). الحجة في علل القراءات السبع. تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثانية، الجزء: الثاني.

الكثيري، منتهاء بنت أحمد بن هادي. (2024). طرق توجيه القراءات القرآنية عند موسى المُعَدَّل المتوفى سنة (500هـ) في كتابه «روضة الحفاظ». مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، 39(1)، 1503–1555.
https://doi.org/10.21608/bfam.2024.371172

المختار، محمد. (2003م). تاريخ القراءات في المشرق والمغرب. دار ثقافة للنشر، الرباط.

مذكرة في مادة علم توجيه القراءات. (1440هـ). قسم علوم القرآن، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر.

هبشان، حسن سالم عوض. (2016). علم توجيه القراءات وصلته بالعلوم الشرعية والعربية. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، 13(1)، 181–213.

جميع الحقوق محفوظة © 2026، الدكتور/ عبد الله يونس عبد الله توري (CC BY NC 4.0)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v8.89.3